دور الخزانة القندوسية الزيانية في الحفاظ على التراث المحلي

أ/ مصطفى عَلوي
جامعة بشار

تنسب الزاوية الزيانية القندوسية إلى مؤسسها الشيخ أمحمد بن أبي زيان [1] المولود سنة 1062هـ/1650م في قصر من قصور تاغيت بمنطقة بني كومي [2] على الضفة اليمنى من وادي زوزفانة، ويبدو أن الشيخ بن أبي زيان اكتسب علما برصيد ثقافي متوسط على العموم، لذلك خرج مسرعا قاصدا بلاد جده القنادسة[3] التي أسسها الولي الصالح سيد الحاج عبد الرحمن بن محمد دفين الجامع العتيق.

قام الشيخ أمحمد بن أبي زيان برحلة علمية طويلة قاربت 35 سنة، جاب خلالها سجلماسة [4] وفاس، وتلقى فيهما علوم اللغة والنحو والفقه. وفي سنة 1097هـ قرر الشيخ أمحمد بن أبي زيان العودة إلى القنادسة واستطاع أن يؤسس زاويته المشهورة التي أكسبتها (القنادسة) شهرة كبيرة منذ نهاية القرن 11هـ/17م، وكان من أهدافها نشر مبادئ الطريقة الزيانية التي هي في الحقيقة متفرعة عن الطريقة الشاذلية الأم [5] وأصبح لزاويته أهداف تلخصت في السعي إلى تحقيق رسالة تربوية وإصلاحية بمنطقة الساورة.

ومن المرافق العلمية التي كانت ملحقة بالزاوية الزيانية القندوسية، خزانتها الغنية بعدد هائل من الكتب والمخطوطات وقد تم توفيها عن طريق الشراء أو الاستنساخ، وهذا ما انعش الحركة الثقافية بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري وتوافد عليها طلاب العلم والعلماء وأصبحت بذلك الزاوية الزيانية القندوسية مركز اشعاع علمي.

ومن خلال نشاطها العلمي أمكن للزاوية الزيانية جمع عدد كبير من المخطوطات في شتى العلوم، ويؤكد ذلك وجود 3000 مخطوط في سنة 1950م حسب رواية شيخ الزاوية آنذاك سيدي عبد الرحمن لعرج [6] ومما يجدر الإشارة إليه أن الكثير من المخطوطات تعرض للسَّرقة والنهب والتلف بعد احتلال فرنسا لمنطقة بشار سنة 1903م.

1- التعريف بالخزانة القندوسية الزيانية:

ولإنقاذ ما تبقى من ثروة علمية (المخطوطات)، فكر أحد أحفاد الشيخ أمحمد بن أبي زيان وهو طاهيري مبارك [7] في مشروع علمي يهدف إلى بعث خزانة أجداده، وأول ما قام به هو جمع وحفظ ما تبقى من مخطوطات وذلك بتنظيفها وترميمها بمساعدة أصدقائه الأساتذة، ثم شرع في ترميم جناح من بيته وخصصه للخزانة التي أطلق عليها الخزانة القندوسية الزيانية حيث دشنها السيد عز الدين مشري والي ولاية بشار يوم الأربعاء 29 نوفمبر 2006م. وتضم الخزانة في هيكلها:

- قاعة للمطالعة.

- قاعة للعرض.

- خزانة للمخطوطات.

- متحف تقليدي.

- قاعة أنترنت.

- قاعة للمحاضرات.

2- محتوى الخزانة القندوسية الزيانية:

تضم الخزانة القندوسية الزيانية عدد لا بأس من المخطوطات مكتوبة بالخط المغربي، وبمقاسات مختلفة، ومن نماذج فهارسها:

أ- فهارس مخطوطات العقيدة والحديث والفقه والسيرة النبوية:

- مجموعة المثون [8]: بعضها نسخها أحمد بن أبي القاسم الحطابي
- منظومة في العقيدة[9]: عبد الله بن زكريا
- الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري [10]: الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (رحمه الله)
- ايمان في أخبار الزمان[11]: الناسخ و المؤلف غير مذكورين.

- كتاب شمائل المحمدية والخصائل المصطفوية [12]: الحافظ الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترميذي (رحمه الله)
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) [13]: العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى (رحمه الله)

ب- فهارس مخطوطات اللغة والأدب العربي:

- متن ألفية بن مالك في النحو [14]: أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي (رحمه الله)
- تحفة الأريب و نزهة اللبيب [15]: الشيخ العلامة أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي
- كتاب التصريح بمضمون التوضيح على ألفية بن مالك [16]: الإمام العالم خالد عبد الله بن أبي بكر الأزهري.
- الخيل و السلاح وما يتعلق بهما[17]: مؤلف مجهول.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[18]: مؤلف مجهول.
- الهمزية المباركة من مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم [19]: محمد بن سعيد بن الإمام البوصيري.

ج- فهارس مخطوطات التاريخ والتراجم والسير:

- جزء من مخطوط الرحلة الحجازية الكبرى (الجزء المتعلق ببشار)[20]: العلامة أبو عبد الله بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت 1239هـ/ 1823م)
- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء [21]: الإمام عبد الملك بن الكردبوسن التوزري.
- نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخيار توات ومن دفن فيها من أولياء والصالحين والعاملين الثقات [22]: العلامة الشيخ مولاي أحمد الطاهر ابن عبد الله المعطي السباعي الادريسي الحسني (ت 1099هـ).

د- فهارس مخطوطات التصوف:

- فتح المنان في سيرة الشيخ بن أبي زيان [23]: الشيخ عبد الرحمان بن محمد مزيان اليعقوبي.
- منهال الضمآن ومزيل الهموم والكروب والاحزان في دكر كرامات شيخنا العارف بالله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان[24]: الشيخ علي بن عبد الرحمان التازي الفاسي.
- طهارة الأنفاس: محمد مصطفى بن الحاج البشير.

- نبدة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (1093هـ-1198هـ)[25]: الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر بن محمد بن الحاج أعمر الرقادي الكنتي.
- المناقب المعزية في مآثر الأشياخ الكرزازية: أبو عبد الله محمد بن محمد الكرزازي.
- وصية الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي [26]: الشيخ سيدي أحمد بن موسى دفين الزاوية الكبيرة بكرزاز (ت1013هـ/1604م)

3- دورها في الحفاظ على التراث المحلي للخزانة الزيانية القندوسية

نشاطات ثقافية متنوعة تشرف عليها الجمعية القندوسية للمحافظة على الآثار والوثائق والطابع المعماري، كما تقام فيها جلسات علمية خاصة في يوم الجمعة بعد صلاة العصر وتعمل على برمجة محاضرات أسبوعية خلال شهر رمضان الكريم،كما تحي كل عام مناسبة المولد النبوي الشريف بمدينة القنادسة [27] التي يتهافت عليها الزوار من أنحاء كثيرة من الوطن مع حضور شخصيات هامة في هذه المناسبة.

وتتلخص الأهداف من تأسيس الخزانة القندوسية الزيانية في[28]:

1- الحفاظ على تراث منطقة الساورة ببشار وإنقاذ ما تبقى منه من التلف والزوال.

2- الاهتمام ورعاية المخطوطات والمؤلفات والوثائق الأرشيفية.

3- جعل الخزانة بمثابة منارة لطلاب العلم والباحثين.

4- الاهتمام بتاريخ المنطقة الذي يعد جزء لا يتجزأ من تاريخ الجزائر.

5- المساهمة في إحياء المناسبات الدينية والوطنية.

خلاصة القول إن الخزانة الزيانية القندوسية تعد من أقدم وأغنى المكتبات المتواجدة بمدينة القنادسة (بشار) وذلك لما خلفته من آثار علمية وفكرية، هذه المكتبة فضلا عن كونها تعد حامية للمخطوط فإنها تمثل أداة لنشر العلم في مختلف التظاهرات والنشاطات العلمية التي تنظم بصفة دورية، كما أصبحت فضاءا ملائما لحماية تراث منطقة الجنوب الغربي الجزائري، وذلك عن طريق إدخال وسائل حديثة ساهمت في حفظ المخطوط كآلة الرقمنة وسكانير وغيرها، إضافة إلى توسيع هياكل الخزانة بما يتناسب مع حجم المخطوطات، كقاعة المخطوط وقاعة المحاضرات التي أصبحت تجمع طلاب العلم، كما استطاعت الخزانة القندوسية الزيانية أن تجمع مخطوطات مهمة كانت في بيوت أصحابها مما أثرى محتواها العلمي.

الصفحة الأولى من مخطوط منهل الظمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان

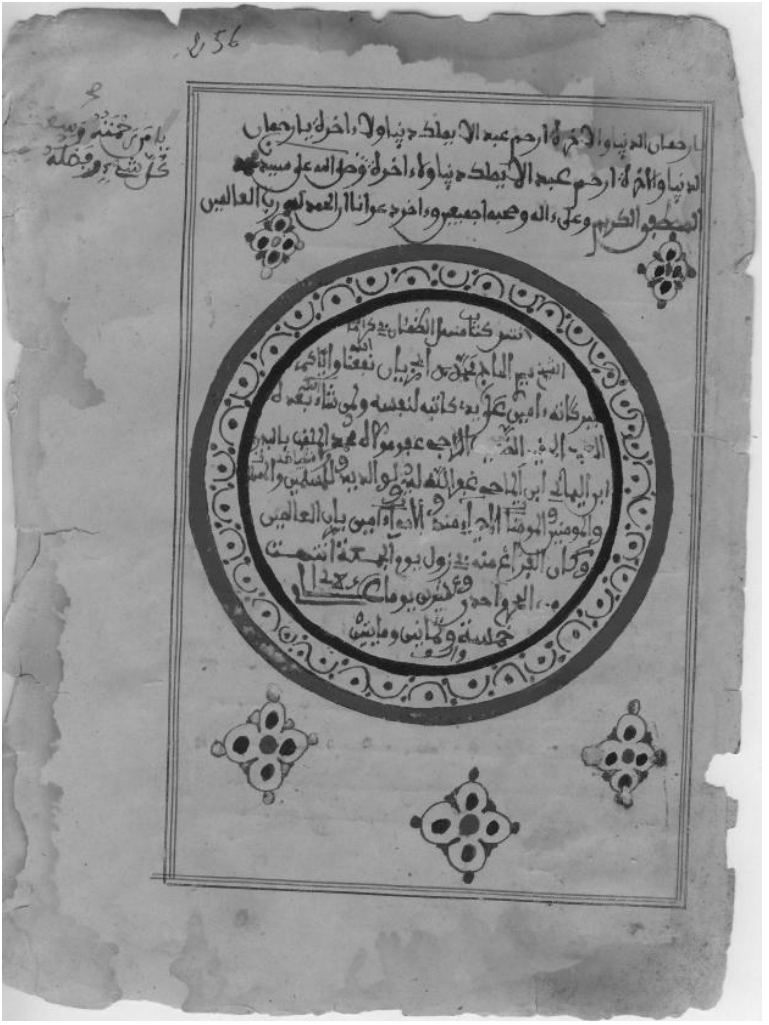

الصفحة الأخيرة من مخطوط منهل الظمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان

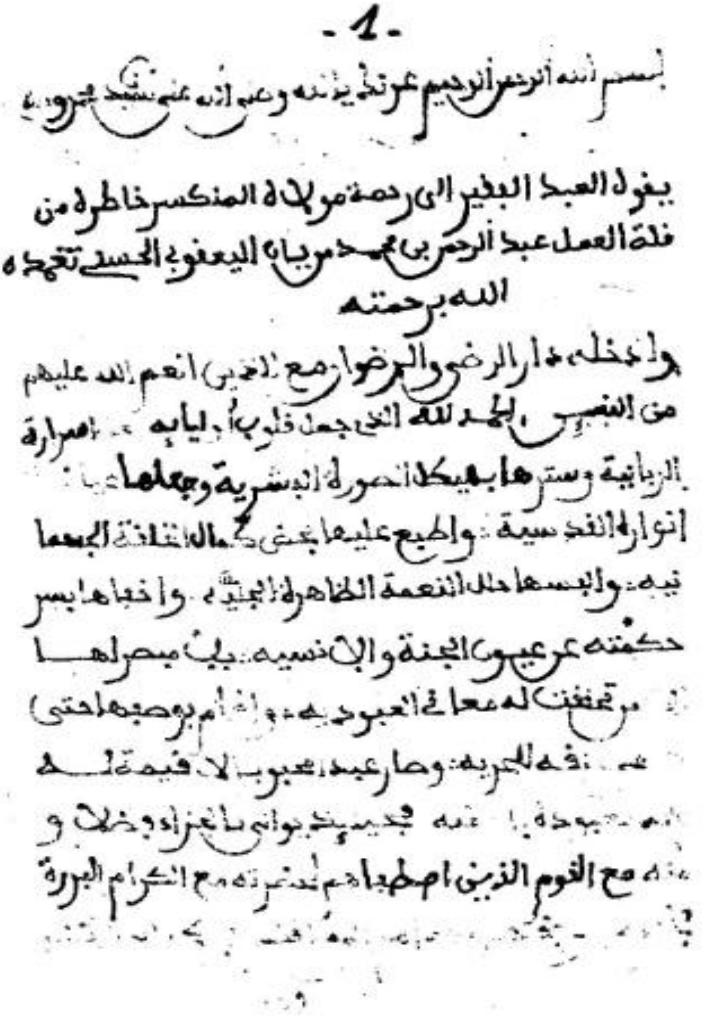

الصفحة الأولى من مخطوط فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان

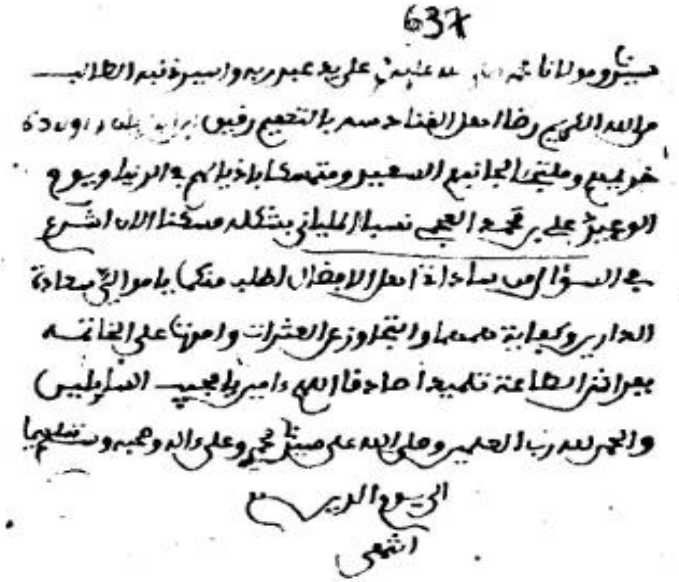

الصفحة الأخيرة من مخطوط فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان

- الهوامش:

[1]- أمحمد بن أبي زيان: هو أمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيان بن عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان بن مسعود بن عبد الله الغزواني بن سعيد بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن سلام بن عيسى بن مزوار بن علي بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنظر: الغيثاوي التوهامي، منجد الولهان في معرفة مآثر الشيخ سيدي أمحمد بن أبي زيان، دار الهدى، الجزائر، (دت)، ط2.

(2)- بني كومي: تقع على وادي كبير، نخلها كثير جدا، بها ثمانية قصور صغيرة وأكثر من خمس عشرة قرية، بعيد عن سجلماسة بنحو 50 ميلا إلى جهة الجنوب الشرقي. أنظر: الوزان الحسن بن محمد الفاسي،وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1983، الطبعة 2، الجزء 2، ص ص130-131.

(3)- مرزاق محمد، الشيخ محمد بن أبي زيان و زاويته بالقنادسة، الدور الديني والثقافي والسياسي (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط 1988، ص ص50-51.

(4)- سجلماسة: مدينة بنيت على سهل وادي زيز، وأحيطت بسور عال ما زالت بعض أجزائه باقية. كانت سجلماسة مدينة متحضرة جدا، دورها جميلة، وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان. أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص127.

(5) -Louis Rinn, marabouts et khouans, étude sur l'islam en Algérie, adolphe jourdan, librairie-editeur1884, p 411.

(6)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان1998، ج 4، ص ص64، 65. أنظر: عبد القادر بوباية، الخزانة الزيانية القندوسية ومخطوطات التصوف بها، مجلة آفاق الثقافة والتراث، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،2010، السنة 18، العدد 72، ص155.

(7)- طاهيري مبارك: وُلد في القصر القديم بالقنادسة سنة1963م، التحق بمدرسة خربوشي لحسن التي زاول فيها دراسته الابتدائية، ثم انتقل إلى متوسطة القنادسة، ومنها إلى ثانوية العقيد عثمان (الثانوية المتشعبة سابقا) التى توج دراسته فيها بالحصول على شهادة البكالوريا سنة 1983م ثم التحق بجامعة وهران في نفس السنة، وحصل على شهادة ليسانس التعليم تخصص هندسة مدنية سنة 1987م، وعلى إثرها التحق بالتعليم الثانوي ببشار كأستاذ للرياضيات منذ عام1988م إلى يومنا هذا.

(8)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في العقيدة وعلم الكلام، ص4.

(9)- نفسه، ص2.

(10)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في الحديث النبوي والسيرة النبوية، ص6.

(11)- نفسه، ص3.

(12)- نفسه، ص4.

(13)- نفسه، ص8.

(14)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في اللغة و الأدب، ص3.

(15)- نفسه، ص3.

(16)- نفسه، ص4.

(17)- نفسه، ص7.

(18)- نفسه، ص8.

(19)- نفسه، ص10.

(20)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في التاريخ، ص3.

(21)- نفسه، ص8.

(22)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في التراجم والسير، ص5.

(23)- فهارس الخزانة الزيانية القندوسية: مخطوط في التصوف، ص1.

(24)- نفسه، ص13.

(25)- نفسه، ص2.

(26)- نفسه، ص20.

(27)- مقابلة شفوية أفدنا بها السيد مبارك الطاهري، المزداد سنة 1963، بالقنادسة، بتاريخ 23 جانفي 2013، المشرف على الخزانة الزيانية القندوسية.

(28)- نفسه.